

قراءة في

كتابات تطمح أن تكون قصصا

نجاح هادي كبه

المقولة أن التراث الشعبي تجربة مكرّوسة من الخارج الذاتي ولم تتلق من الإبداع ذاته.

استخدم الكاتب أكثر أوان التراث الشعبي من أجل توثيقه في رصد الأحداث وتشخيصها فقد استند إلى العبارات الشعبية : عمي داني بساحة الطيران ، أنت لا تعرف تشطري ، اه ؟ جلو .

واستخدم الألفاظ الشعبية مثل تعبان ، الاسطة ، اسكول اسبابه .
٢ - الألعاب الشعبية مثل لعبة الحجلة ، الطائرة الورقية . وقد عكس فيها تقنيات الطفولة وأحلامها مما دفع عواطفنا بشكل يارح ، بالرغم من سذاجة تلك الألعاب حيث حلت محلها ألعاب الطفولة .

٣ - الخرافات والأساطير من أمثال : (.. ان الملك قد هاج .. وأبغ سبب تتمعي بالحياة كما ينبغي ، ابي ، وحيسه في بطنه تسعة قرون كاملة) ص ٤٦ وقوله (يقال ان خلف الجبل مدينة جميلة ، يعيش الناس فيها كالهواء) ص ٤٨ .
٤ - العادات والتقاليد أمثال (وهل يدعو الانسان القادم لثوبه من سفر طويل الناس لزيارته ؟ أم يأتون اليه من تلقاء انفسهم) ص ٩٦ .

٥ - يعتمد القاص المدارس الأدبية الأربع في كتاباته ففي قصة الرجل الذي امتحن دراسة الكائنات البشرية يعتمد المدرسة الرمزية في الربط بين الحيوانات والانسان حيث تنهش الغراب يد البطل اليسرى وحين تلوذ به الحبيبة ليعمدها بالخلخال من الغراب تخونه يده اليمنى - الأنا -

وحين يفقدها يحط الطائر على رأسه ليقف عينيها ، وفي كل ذلك يبقى البطل مصمماً على العودة للإصلاح ، والقصة جسر بين التراث والمعاصرة ، انه الربط بين كلبية ودمية وما جرى على السنة الحيوان من تجارب للانسان ، وما نظم ابن الهبارية في الصحاح والبايعم من اراجيز لكلبية ودمية ثم أخيراً ما أفاد منه الشاعر الفرنسي - لامونتين - في نظم حكايات عن السنة الحيوانات وما جادت به يد أحمد شوقي في نظم تلك الحكايات ، ان يوجد هذا التراث الحيواني من القصص يذكرنا ايضا بقصص سليمان والجوان في القرآن ، وفي قصة سبب الموت - سبب للحياة - لم يكن موت البطل مفاجأة طويلاوية بل كان موته من أجل كسب قضية مقدسة ، حيث اعتمد القاص المدرسة الواقعية ، وفي قصة اضطراب في الوان النهار يعتمد الرومانسية حيث يتلاعب على لسان شخصوه بحثه هي الوهم أو الحقيقة لا ليدفع قاربه بل ليوضح له ان من الوقائع ما هو غير مستحيل التغيير ، أما المسألة الكلاسيكية فقد وظفها بشكل عسري في كل قصصه كاستخدامه التراث الشعبي أو التائر بجبل الورد والجبل الشيني في كتابة القصة .

٦ - المحصلة ان الطرح الواقعي للقصة يعلو ولا يعلى عليه ، الطرح الواقعي الذي يستلهم الشخصيات عن طريق الداعي العر والضد بشرط ان يكون متفوقا عن الحياة المتأبضة بالحركة والفعل والفن ، الفن قبل ان ترسمه يد الفنان - القاص - ودون ان يخلق القاص شخصياته على الطريقة الرومانسية أو ان يضيقها على الطريقة الرمزية وهذا يشدني الى انطباعات عبدالرحمن مجيد الربيعي وعائد خصيات وموسى كريدي واكثر قصص محيي الدين زنكنه .

٧ - يستلهم القاص شخصياته بالاسلوب السايكولوجي - الفيزيولوجي فهو يستلهم بالتحليل النفسي لفرويد وادلر على ضوء من الداعي الحر ، لكن تحت ضوء الشمس ويعيداً عن العرف المنظمة (هكذا شانها معي ، على الدوام ، تعبرني بالخوف وتتهمني بالجبن ، وترغم اني لن اكون رجلاً مهما كدست من السنين .. اه) ص ٧٥ ، وقوله (ولكنني كنت ابيكي لامر آخر .. ارثي لحالي .. اذ كيف سأزود ان نفسي من خلال الآخرين ، بعد ما لحق بي من عار) ص ٦٦ وقوله على لسان المختار الممثل للعلاقات النغمية في القوية (ما لكم تحقون بي ؟ ، أنا الذي همدت السد) ص ٦٠ وهو يعرف نفسه بالسر انه العنصر الشاذ فهو من شخصيات (السد يتحطم ثانية) لانه المهدم للسد - الخير - لصالح صاحب المزرعة - الشر - وحين يطبق على الجميع السكنون (تشجع المختار اكثر .. واكثر بالرغم من تلك السنة الوسخة التي اطلقها في وجوههم) ص ٦٠ وكان سلاح المختار السايكولوجي هو الصراخ في وجوههم - الصراخ الغاضب - المناق - لارهابهم واسكاتهم .

(٢)
يستلهم القاص شخصياته بالاسلوب السايكولوجي - الفيزيولوجي فهو يستلهم بالتحليل النفسي لفرويد وادلر على ضوء من الداعي الحر ، لكن تحت ضوء الشمس ويعيداً عن العرف المنظمة (هكذا شانها معي ، على الدوام ، تعبرني بالخوف وتتهمني بالجبن ، وترغم اني لن اكون رجلاً مهما كدست من السنين .. اه) ص ٧٥ ، وقوله (ولكنني كنت ابيكي لامر آخر .. ارثي لحالي .. اذ كيف سأزود ان نفسي من خلال الآخرين ، بعد ما لحق بي من عار) ص ٦٦ وقوله على لسان المختار الممثل للعلاقات النغمية في القوية (ما لكم تحقون بي ؟ ، أنا الذي همدت السد) ص ٦٠ وهو يعرف نفسه بالسر انه العنصر الشاذ فهو من شخصيات (السد يتحطم ثانية) لانه المهدم للسد - الخير - لصالح صاحب المزرعة - الشر - وحين يطبق على الجميع السكنون (تشجع المختار اكثر .. واكثر بالرغم من تلك السنة الوسخة التي اطلقها في وجوههم) ص ٦٠ وكان سلاح المختار السايكولوجي هو الصراخ في وجوههم - الصراخ الغاضب - المناق - لارهابهم واسكاتهم .

(٣)
ان مقولة : هذا الكتاب مجموعة قصصية اقرب ما تكون الى كونها تجربة جديدة في المجال القصصي ، وعلى الضد مقولة تابعة : ان كتاباته هذه التي تضمنتها المجموعة تسمى وتطمح لان تكون قصصاً تكشف عن تناقض هو بالضرورة دون طموح محيي الدين زنكنه ، القاص والسرحي .

(٤)
في الميزان التناظري بين النقطتين الرابعة والخامسة سنكتشف ان - زنكنه - كاتب قصة وبالبرهان الفاعل ، ان كل كاتب قصة يجدد ويبتكر ويولد على ضوء من مقولة ان الحضارة ليست من ابتكار شعب واحد وعلى مستوى القياس الفردي لا تنسب لشخص مفرد مذكراً كان ام مؤنثاً ، معرفة اونكرة ان القاص - موضع الطرح - لم يتعد التجديد الذي ارتداه كتاب القصة المعاصرون رداء جميل لهم فهو كاتب يستخدم الشد ويعزق سنار السردية ، وهو ليس بساحر ولا كاهن يتلاعب بعقل القارئ عن طريق الحججوات والالغاز وقصص العجايز والخرافات والاساطير ، كما ان الرجل لم يصف مدرسة جديدة كالسوريالية والادبية ، ان قصصه واقع يحل واقعاً ليصل الى الواقع العام ، وباختصار انه لا يندعك ، لقد مزج محيي بين الداعي الحر واستيطان الشخصيات والمثلج الداخلي وهو الاسلوب المتعارف عليه عند كتاب القصة المعاصرين .

(٥)
الكاتب يزاوج بين الكلي والجزئي الجماعة والفردي ، الطبيعة والانسان ، الحيوان والانسان ، ويزاوج بين الجزئي والجزئي : العدل والظلم ، الاحباط والثورة ، التمسك وقوة الشخصية ، الصراع بين الطفولة والكبر ، ولم يزاوج بين الكلي والكلي وفي ظني انه من حيثيات قصصية غير معاصرة ترجع بخيوطها الى منخلات الاساطير في القرون الوسطى كالقتال بين طرفين متحاربين ، والقاص القدرة على جعله عسرياً لو اراد .

(٦)
يوظف الكاتب التراث الفني او ما يسمى بالمصطلح الاجنبي - الفلكلور - ويشكل مشق مع الجو النفسي في البناء القصصي للحركة والفعل دون الشعور بضعف الاحساس وكان القطع الشعبية ذراعاً من جسم ، وبذلك يهدم القاص

والكتابات اضعامة قصص قصيرة ، صادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، وقد ساعدت الامانة العامة للتقافة والشباب في منطقة الحكم الذاتي على نشرها ، وتقع في تسع قصص ، ولي ملاحظات نقدية فيما يخص البناء القصصي .

(١)
الهم الاكثر الحاجاً في القصص الانحياز للخير والثقة بالمستقبل والثورة والايان بالنصر ضد كل ما هو شر او ضعف ، وحب الوطن - الصراخ - والتعاطف مع الطفولة ، ومسح العادات والتقاليد البالية من خلال الثورة ، فالقاص يعاني من الظلم البشري لكنه لا يستكين بالطابع السكوني ، بل يبدأ بتطير الواقع ضمن التركيب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي ثم يدي بدلوه في الحل ، ففي قصة : السد يتحطم ثانية ، تتلمح الجماعة كقوة عارمة فتحطم السد ، ان معنى الجماعة = طبقة اجتماعية والسد = الوجه البغيض للعلاقات الاقطاعية المندثرة ، يقول القاص ص ١٢ : (وفي نفس الليلة كان السد قد ازيل من الوجود تماماً ، واندفعت المياه تغمر المزارع كلها) ليرمز الى انتصار الجماعة على الاقطاع ضمن تركيب البناء القصصي وبالتالي يرمز لانتصار الفلاح على واقعه المظلم في العمود الميادية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها في عراقنا العالي ، ان صحوة الذات عند القاص في هذه القصة استمرار للنوع الصافي الذي طرحه الكاتب ذو اللون ايبوب في رواية (اليد والارض والماء) حيث عمد الى تصوير طبقة اجتماعية تسمى لتحقيق اصلاخ زراعي في مرحلة الاقطاع المندثرة ، ومن هذا التيار الاداعي قصة : (الانحياز والريح) حيث يرسم عبدالرزاق المطليبي العلاقات الاجتماعية التي عبت الربيف بعد ثورة عام ١٩٥٨ في العراق ، ولا ريب ان تاريخ القصة العراقية سلسلة حلقات متصلة عالج كل كاتب قضية محورية منه ، وقد يلتقي اكثر من كاتب في مصب واحد لكن يبقى الاسلوب هو الرجل كما يقول الكاتب الفرنسي - بيغون - وبقي اسلوب - زنكنه - ذا نكهة مختلفة ، وفي قصة (سبب للموت - سبب للحياة) يستشهد البطل من اجل المبادئ حيث يعاد خلق الحياة بالتمسكية (سيقتلوك ايها القائد - لا بأس - فلدي ما اموت من اجله) ص ٣٢ ويستمر التحدي ذاته في قصة (حيث الناس يعيشون كالهواء) (تكلم الاب لاول مرة منذ ابتلع الملك لسانه) ص ٥٤ ، ان هاتين القصتين ترجعان الذاكرة الى قصص واقاصيص وروايات مشابهة ولاخفة منها (عزة في المتاع) لمحمد عبدالمجيد ، و (المدينة تحتضن الرجال) لموفق خضر ، (وقالت الايام) لغالب عبدالرزاق ، وقد صورت جميعها وقوف جماعه فطرتا المناضل ضد المستعمرين واذنابهم .

(٢)
القاص - زنكنه - لا يتقصه الاحساس بالفن ، ولا ارى ثمة مفارقة بين ان يلد الفنان - القاص - سامعه وان يعلمه ، ان التناغم بين الواقع المعاش وهمسات الفن يطرب الذات كما يطرب المعنى الجمالير ليشدها الحب والقتال والعمل - ان قطعاً فنية مزوجة بنسج الحياة مبهوتة في قصصه كقطع من الخبز المطعم بالاحجار الكريمة على واجهة معبد ، كما ان المباشرة والتقريرية تصالح الواقع وتعاينه حد الذوايان لكنها لا تلتقي بجمرة العواطف ، وكلا الاسلوبين طرقة الكاتب ، كما ان الكاتب واعد بالفعل الحركي للشخصيات ورضدها واخيراً واعد بالفن القصصي بكل حصى الكلمة ، لكن الميل للتقريرية عند زنكنه قد لا يشعرتنا احياناً بمعاني الحيل والخيوس والايحاء غير المباشر . ان الكاتب واعد في قوله (راح ذهنه يتجاوز المسائل) ص ١٣ وقوله (خيم على الصبح سكن سيق ، لا تشدته سوري سموات تساقط حبات المسايح التي كثر الصبح يثر بها ، والتي سرعان ما تسبحا السكن هي الاخرى) ص ٩ .

(٣)
القاص - زنكنه - لا يتقصه الاحساس بالفن ، ولا ارى ثمة مفارقة بين ان يلد الفنان - القاص - سامعه وان يعلمه ، ان التناغم بين الواقع المعاش وهمسات الفن يطرب الذات كما يطرب المعنى الجمالير ليشدها الحب والقتال والعمل - ان قطعاً فنية مزوجة بنسج الحياة مبهوتة في قصصه كقطع من الخبز المطعم بالاحجار الكريمة على واجهة معبد ، كما ان المباشرة والتقريرية تصالح الواقع وتعاينه حد الذوايان لكنها لا تلتقي بجمرة العواطف ، وكلا الاسلوبين طرقة الكاتب ، كما ان الكاتب واعد بالفعل الحركي للشخصيات ورضدها واخيراً واعد بالفن القصصي بكل حصى الكلمة ، لكن الميل للتقريرية عند زنكنه قد لا يشعرتنا احياناً بمعاني الحيل والخيوس والايحاء غير المباشر . ان الكاتب واعد في قوله (راح ذهنه يتجاوز المسائل) ص ١٣ وقوله (خيم على الصبح سكن سيق ، لا تشدته سوري سموات تساقط حبات المسايح التي كثر الصبح يثر بها ، والتي سرعان ما تسبحا السكن هي الاخرى) ص ٩ .